آدم وإبليس

قبل أن نبدأ سلسلتنا "ندٌّ بِند"، سنتحدث أولًا عن كيفية بدء الخلق.

قبل خلق البشر، كان أول المخلوقات التي خلقها الله -عز وجل- هو العرش، فلم يكن معه أحد، فهو الأول -عز وجل- بعدها بزمنٍ خلق الله القلم، وطلب منه أن يكتب كل شيء سيحدث، وكان هذا قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وبعد خلقِ القلم بخمسين ألف سنة، أذن الله بخلق السموات والأرض في ستة أيام، وبعدها خلق الجبال والبحار، وخلق الشمس والنجوم والقمر والكواكب والنجوم وزيَّن السماء بها، وخلق -عز وجل- خلقًا أسماهم الجن، ولكنهم كانوا قومًا مفسدين يسفكون الدماء، حتى إنَّ الملائكة كانت تأتي وتعاقبهم، وكانت تحبسهم في بعض الجزر والبحار.

بعدها أراد الله أن يخلق خلقًا جديدًا، فسألت الملائكة عن هذا الخلق، هل سيكون مثل الجن مفسدًا ومدمرًا للأرض؟ فقال الله لهم: "إنه يعلم ما لا يعلمون"، فعلمت الملائكة أن من هذا الخلق سيكون خير الرسل والأنبياء والشهداء والصديقين وأحباب الرحمن، وعندما أراد الله أن يخلق آدم، أمر مَلكًا أن يحضر له من كل تراب الأرض شيئًا، فذهب وجمع هذا التراب، وكان منه الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، فكان اختلاف أجناس بني البشر.

خُلق آدم من ترابٍ في يوم جمعة، ثم بلل بالماء فصار طينًا، وظلَّ على حاله زمانًا طويلًا، حتى تغير وتماسك وصار فخارًا أجوف، هكذا خلق الله آدم عليه السلام، ولما خُلق ظل سنوات على هذه الحال، فما كان من الملائكة إلا أن تترقبه وتتوجس خيفةً منه، إلا واحدًا كان يترقبه في صمت: إبليس.

كان إبليس من الجن المخلوقين من النار، ولشدة عبادته وطاعته لرب العالمين، رفعه -عز وجل- لمرتبةٍ كبرى تقارب مرتبة الملائكة، حتى صار طاووسهم.

بدأت اللحظة العظيمة لخلق البشر، وهي بداية التاريخ، لحظة نفخ الروح في جسد آدم.. وكل من في الملأ الأعلى ينتظر ما ستصير إليه الأمور.. بدأت الروح تسري في رأس آدم، فبدأ ينظر ويفتح عينيه ويلتفت، وعند وصول الروح للأنف عطس، فقيل له أن يقول: "الحمد لله"، فقالها ليرد عليه رب العزة أن يرحمه الله، راح الكل ينظر لهذا الخلق الجديد العجيب عليهم، ولما صار حيًّا علَّمه الله كل الأسماء.

أراد الله أن يبيّن فضل آدم على الملائكة، فجمع الملائكة وراح يسألهم عن أسماء بعض الأشياء، وهم لا يعرفونها، فيطلب رب العزة من آدم أن ينبئهم بأسمائها، وبعدها طلب الله من الملائكة السجود لآدم، فسجدوا كلهم، إلا إبليس.

كان إبليس متكبرًا مغرورًا، سأله الله عن السبب الذي منعه من السجود؟ -وهو أعلم- فأجاب بأنه خير منه، لأنه مخلوق من نار، بينما آدم مخلوق من طين، وأنه لن يسجد لمن هو أقل منه.

عصى إبليس أمر ربه فلعنه الله، وكان جزاؤه خروجه من الجنة، وكان هذا سبب الكراهية لبني آدم، لكن لم يصمت إبليس، بل طلب من الله أن يمهله ليوم يبعثون، وسيُغوي نسل آدم أجمعين، وأقسم على ذلك بعزة وجلال الله، فأمهله الله ليوم القيامة، وأنه رب العزة سيملأ، جهنم من إبليس وأتباعه.

سكن آدم الجنة، هو وزوجته حواء، حيث أُمرا بالعيش فيها، وأكل ما لذ وطاب لهما من خيراتها، ولكن حذَّرهما الله تعالى من الاقتراب من

شجرةٍ في الجنة، امتحانًا لهما وابتلاءً لطاعتهما لله.. وأطاع آدم وزوجته أمر ربهما فترة، قبل أن يبدأ إبليس انتقامه من آدم.

يُروى في العهد القديم أن إبليس استطاع التسلل إلى الجنة عن طريق تلبسه بحية كبيرة، وراح يغوي آدم وزوجته بالأكل من الشجرة، بينما لم يرد في القرآن القديم شيئًا عن كيفية تسلل إبليس إلى الجنة.

راح إبليس يتظاهر بأنه يريد مصلحة آدم وحواء، فادَّعى كَذبا أن هذه الشجرة هي شجرة الخلد، وأن الأكل منها يورث الخلود في الجنة والملك الدائم، لم يصمد آدم وحواء كثيرًا أمام إغواء إبليس لهما، وكانت النتيجة أن أكلا من الشجرة المحرمة، فكان هذا إيذانًا بخروجهما من الجنة ونزولهما إلى الأرض، وغضب الله عليهما فترة، قبل أن يقبل توبتهما بعد ذلك، ووعدهما بالرجوع إليها إذا آمنا به وعملا صالحًا في الأرض.

كان هذا هو الانتصار الأول لإبليس على آدم، الذي اتخذه ندًا له منذ اللحظة الأولى، وحتى لحظة نهاية البشرية، ومن المؤكد أنه ليس الانتصار الأخير.